BIBLIO:12157181

مدى إمكانية تطبيق التعلم عن بعد فى مجالات تدريس الفنون التشكيلية وإسهامه فى تنمية ذاتية المتعلم

إعداد

د. عبد الله عيسى الحداد

أستاذ مشارك - كلية التربية الأساسية - قسم التربية الفنية

المقدمة :

أن التغيرات الثقافية والتربوية فى وقتنا الحالي تجعل من الاتصال المباشر بين المتعلم والمعلم من الأمور التى تنحدرج تحت الأعمال الشاقة ، وذلك لما عليها من ضغوط كثيرة وكبيرة سواء كانت على المعلم أو المتعلم أو على الأسرة أو المدرسة أو المجتمع الكبير .

إن هذه الضغوطات وليدة التطور والنمو المطرد للمجتمعات ، حيث النمو السكاني تجاوز المعقول فى بعض البلدان النامية مضاف إليها بعد المسافات بين الدول المتقدمة والدول النامية وإرهاق ميزانيات الدول النامية فى التعليم . أضف الى ذلك السرعة الرهيبة فى تصدير العلوم والمعارف والمعلومات بشكل شبه دائم يعجز الإنسان فى بعض الأحيان من متابعته بالسرعة التى تناسبه ، لهذا يستعيض بالتكنولوجيا الحديثة.

إن العصر الحالي لا يحتمل الجلوس على طاولة الدراسة ومناقشة ما يتلقاه المتعلم وجهاً لوجه ، لأنه لا المعلم لديه الوقت الكافي و لا المتعلم لديه أيضاً ، وذلك لعدة عوامل وأسباب مختلفة ومتنوعة أدت الى تأثر المخرجات للتعليم العام والفائدة والجدوى منه بهذه الكيفية .

والفنون التشكيلية أحد روافد التعليم العام ، والتعليم الجامعي والعالي والمعاهد المختلفة . فمناهج تلك النظم التعليمية عبارة عن مواد ذات صبغة نظرية ومواد ذات صبغة تطبيقية وعملية لها خصوصية تختلف فى موقعها عن المجالات النظرية والتى تعتمد على الكتب والمراجع والكتاب المدرسي خاصةً . إن الاختلاف واضح بين

المجالات التعليمية النظري منها والعملي ، والتى يصبح معها التعلم والتدريب فى غاية الصعوبة بدون الاتصال المباشر بين الدارس والمدرس والمتدرب والمـدرب والمتعلـم والمعلم .

مشكلة البحث

تكمن مشكلة البحث فى محاولتنا التغلب على الضغوطـات الـتى نواجهـها كمعلمين وكطلبة فى دراستنا لمجالات فنية أكاديمية عملية وذلك بسـبب النقـص فى السعة المكانية والأداء الأكاديمي والتقنيات المختلفة ، سواء كانت خامـات وأدوات عمل أو تقنيات تربوية والتى يتصف بها النظام التعليمي الحالي ، سواءً على مسـتوى النظام التعليمي العام أو الجامعي بمستوياته . . . بالإضافة إلى محاولتنـا الدخـول الى الأنظمة التعليمية المتطورة وغير المكلفة والتى لا ترهق الميزانية العامة للدولة ومحاولـة علاج حالات الهدر الهائل فى التعليم مع الاندماج فى تطبيقات التوجـهات العالميـة الحديثة بعولمة التعليم .

أهمية البحث

تأتي أهمية هذه الدراسة فى إبراز الجوانب الإيجابية والجوانب السلبية للتعليـم عن بعد مع إمكانية تطبيقه على جميع المجالات الأكاديمية بما فيها التطبيقية والعملية .

أسئلة البحث

١. ما الفوائد من تغيير النظام التعليمي الحالي الى نظام عالمي ؟

٢. كيف سيؤثر التعليم عن بعد فى تنمية ذاتية المتعلم ؟

٣. كيف سيعمل معلمو المجالات التطبيقية بأسلوب التعليم عن بعد ؟

ساهم التطور السريع لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات الحديثة على توظيفها فى النظم التعليمية ، مما أدى الى زيادة كفاءة أشكال التعليم ، ويمكن التفريق بين التعليم عن بعد كبديل للتعليم التقليدي . وقد أصبح التعليم عن بعد وتعدد القنوات التعليمية عنصرين مهمين وأساسيين ومتنامين فى منظومة التعليم المتكامل فى المجتمعات الحديثة .

يقوم التعليم عن بعد على عدم اشتراط الوجود المتزامن للمتعلم مع المعلم فى الموقع نفسه . وبهذا يفقد كل من المعلم والمتعلم خبرة التعامل المباشر مع الطرف الآخر . ومن ثم تنشأ الضرورة لأن يقوم بين المعلم والمتعلم وسيط . وللوسيط هذا شروط وجوانب تكنولوجية وبشرية وتنظيمية ، كما يمكّن التعليم عن بعد من اختيار وقت التعلم بما يتناسب وظروفه ، دون التقيد بجدول زمني منتظم ما عدا شروط التقييم . فى النهاية يشمل هذا الوضع غياب القرناء بالمفهوم التقليدي . . . ولكن ذلك لا يمكن أن يقوم نظام فعال من التعليم عن بعد فى غياب تواصل قوي ومتبادل بين المعلم والمتعلم عن بعد . وهذا الغياب للتواصل يعني تدهور التعليم عن بعد .

فى البداية كان التعليم عن بعد يعني التعليم بالمراسلة بمعنى أن الوسيلة والوسيط الخدمات البريدية بين المعلم والمتعلم . ولكن وضع التعليم عن بعد الآن مختلف فقد تم توظيف التقنيات الحديثة فيه مثل تطبيقات الكمبيوتر ووسائط الاتصال الحديثة كالأقمار الصناعية . فهذه التقنيات وفرت أساليب نقل النصوص والصور والحركة والخبرة الحسية من خلال أساليب الحقيقة الظاهرية كأساليب للاتصال تبرز أحياناً ما يوفره أكفأ المعلمين فى قاعات التدريس العادية .

وبما أن التعليم بوجه عام يمثل وظيفة أساسية فى المجتمعات البشرية كان لزاماً أن تتغير أشكال التعليم بوجه عام ، وتتطور مع تطور تكنولوجيا التعليم . . .

لكل نوع من التعليم عن بعد ، وسائل ووسائط تكنولوجية مناسبة وملائمة عن غيرها ، فالراديو يساعد على إثارة الخيال ، والتلفزيون فعال فى التعامل مع الأحداث المركبة و الكمبيوترات تناسب وتلائم اكتساب المهارات الناتجة عن التكرار والممارسة والتفاعل . لذلك فأن تعدد الوسائل التكنولوجية توفر مجالات واسعة لإثراء العملية التعليمية . وكذلك يتكيف استخدام هذه الوسائل بظروف المجتمع الذى تقوم فيه سواء من حيث الوفرة أو النوعية أو كفاءة الاستخدام .

ومن حيث الأهمية فأن استخدام التعليم عن بعد الوسائل المتنوعة والتركيز على أي واحد منها وفى أي مجتمع من المجتمعات معتمد على التشكيلة التكنولوجية القائمة فيه وبمقوماتها المجتمعية بما فى ذلك البنية الأساسية والتنظيمية . وأن استخدام الأشكال الأكثر فاعلية من التعليم عن بعد هو الكمبيوتر والشبكات المؤثرة على نوعية التعليم ، حيث تكون نسبياً حتى فى المجتمعات المتقدمة . وهذه النوعيات من الوسائل التكنولوجية أكثر تواجداً وأكثر كلفة والأكثر فى الحاجة لبنية تحتية مكلفة . . . وبطبيعة الحال البلاد النامية متأخرة بالنسبة لهذه الامكانيات . وكذلك توفر وسائل الاتصال الحديثة فى تلك البلدان النامية مع حداثة وسيلة الاتصال وارتفاع أسعارها مثل التلفون والفاكس والكمبيوتر والانترنت كلما زادت فعاليتها فى التعليم وبالتحديد فى التعلم الذاتي عن بعد .

إن الحاجة ملحة الى التعليم عن بعد فهو يساهم فى حل مشكلات الاستبعاد من التعليم التقليدي ، سواء فيما يتصل بالتعليم قبل المدرسي أو استبعاد البنات والنساء والمناطق النائية والفئات الفقيرة من مراحل التعليم الأعلى . وصار من الأهمية أن تستغل أساليب التعليم عن بعد فى مكافحة تردي النوعية فى التعليم التقليدي ، ويمكن أن تساعد أساليب التعليم عن بعد فى التغلب على ندرة المعلمين ، خاصة فى المناطق النائية والأفقر فيها .

ولكن للتعليم عن بعد ميزتان لهما علاقة وثيقة بفوائده سواءً كانت إيجابية أو سلبية وهما :

١. يساعد التعلم الذاتي عن بعد فى تنمية الاختيارية بين الفئات الاجتماعية وخصوصاً القادرين مادياً منهم فى التعليم الأرقى نوعية ، بحيث يصبح التعليم أداة للتفاوت الطبقي الاجتماعي بدلاً من وظيفته الأساسية ، وهى التقليل من الفوارق الاجتماعية .

٢. أما من الناحية العالمية،فتنطوي عملية العولمة على أنماط مباشرة واخرى مقنعة من التعليم عن بعد من خارج نظام التعليم والتنشئة الوطنية . فالتزايد باستقبال اللغات والثقافات الغربية بأوسع المعاني يؤثر بخطورة على رسالة التعليم فى المجتمع العربى. ومع ذلك بات ضرورياً دخول معترك التعليم عن بعد باعتباره مجالاً حيوياً للتعلم على صعيد العالمية ولم يعد من الممكن تجاهله .

أن عملية نجاح التعليم عن بعد مشروطة بعدة جوانب . فالمجتمعات منبهرة به وذلك للاستخدامات المختلفة للتقنيات الحديثة وكأنها حلول سحرية تساعد على حل

المشاكل التعليمية . . . ولكن الحقيقة أن التعليم عن بعد يواجه الكثير من المشاكل وتتزايد فى البلدان النامية . . حيث إن التعليم عن بعد ليس قائما بذاته ولكنه جـزء من المنظومة التعليمية المتكاملة ، هذا ما يجب أن ينظر إليه .

وقد أوضح بعض المربين الغربيين أن بعض برامج التعليم عن بعد يمكـن أن تنتج نوعية أعلى من التعليم ، خاصة التعليم العالي ، وذلك بسبب تحمـل المتعلـم المسئولية والاشتراك الأكثر فاعلية للمتعلمين فى العملية التعليمية . وغياب الحواجـز النفسية للتعبير بين المجموعة ، وغيره من المبررات. ولكن ليس هناك دليل حتمي علـى أن التعليم عن بعد أفضل من التعليم التقليدي من منظور النوعيـة . ولكـن علـى العكس فهناك دليل قوي على أن برامج التعليم عن بعد تعاني معدلات انقطاع أعلى من التعليم التقليدي (الانقطاع الدراسي) ، وهذا أمر كان متوقعاً بناءً على ظـروف أغلبية المنتسبين الى التعليم عن بعد والتى أدت الى حرمانهم من التعليم التقليدي .

وفى الحقيقة إن التعليم عن بعد يمكن أن ينجرف الى نفس المشاكل التى يقـع فيها التعليم التقليدي وهى مشاكل التلقين ، والاستظهار ، والإرجاع ، وبالإمكـان أن تكون أكثر شدة بسبب استخدامه للأجهزة الجامدة بين المعلم والمتعلم . مـن ثم فتطوير المجالات التعليمية الممتعة والمشوقة والفعالة فى التعليم عن بعـد مثـل المـواد التطبيقية والعملية أمر صعب ومركب . . . لأنه يجب أن يتم من خلال فرق متكاملـة تضم تربويين وخبراء فى الموضوعات وفى التقنيات ووسائل الاتصال المسـتخدمة ، وفنانين وغيرهم ، ويجب أن يقوم إنتاج المواد التعليمية على تبني نموذج " البحـث ، التطوير ، التقييم ، المراجعة " باستمرار .

ويمكننا القول بان البرامج الفعالة للتعليم عن بعد هى التى تقوم على التخطيط السليم والفهم المرتكز على متطلبات المساق الدراسي وحاجات الطلاب. فلا يتم اختيار التكنولوجيا المناسبة إلا بعد التحقق من الفهم التفصيلي لتلك العناصر. فليس هناك لبس فى الكيفية التى تتطور بها برامج التعليم الفعال عن بعد حيث لا يتم ذلك بشكل ارتجالي، وإنما من خلال العمل والجهود للعديد من الأفراد والمؤسسات.

إن قيام التعليم عن بعد يعتمد لنجاحه تعاون وتظافر الجهود لأطراف متعددة وتتنوع أدوارها . إن توفير الحاجات التعليمية للطلبة هو الهدف الأساسي لجميع البرامج الفعالة للتعليم عن بعد. وهو المقياس الذى يتم على أساسه تقييم كل جهد يبذل . وإن نجاح أى جهود للتعليم عن بعد تقع على عاتق الهيئة التدريسية ، ففي نظام التعليم التقليدي لغرفة الصف ، تشتمل مسئولية المدرس على تنظيم محتويات الحلقة الدراسية وفهم أفضل حاجات الطلاب ، ولكن معلم التعليم عن بعد عليه أن يقوم بتجهيز نفسه بما يلي :

- أن يطور فهماً عملياً حول صفات واحتياجات المتعلمين عن بعد فى ظل غياب الاتصال المباشر .
- أن يتبع مهارات تدريسية تأخذ بعين الاعتبار الاحتياجات والتوقعات المتنوعة والمتباينة للمتلقين .
- أن يطور فهماً عملياً لتكنولوجيا التوصيل ، مع استمرار تركيزه على الدور التعليمية له .
- أن يعمل كمرشد وموجه ذكي للمحتوى التعليمي.

ولكن في سياق هذا السرد ما هى الفروقات بين التعليم عن بعد وبين التعليم التقليدي فى المدارس العادية ؟ يعتمد المعلمون فى المدارس العادية على عدد من ردود الأفعال التلقائية لدعم توصيل المحتوى العلمي . فمن خلال ملاحظة المعلم الفاحصة يمكن التعرف على الطلبة الذين يسجلون ويدونون المعلومات ، أو الذين لديهم مشاكل فى الفهم أو يريدون الاستفسار أو التعليق وكذلك ملاحظة الحالات النفسية للتلاميذ . وهكذا فالمدرس الناجح بطبيعته يقوم بتلقي وتحليل الإشارات سواء بعقله الواعي أو اللاواعي ليقوم بإيصال المعلومات المناسبة بأسلوب يتناسب وحاجات الصف خلال دروس معينة . وعلى العكس فإن المعلم فى نظام التعليم عن بعد ، لا تتوفر لديه أي أشارات مبنية على الملاحظة ، إلا أنه يمكن أن يتوفر له ذ ك من خلال وسائل تكنولوجية ، مثل شاشات الصورة والصوت ، فمن الصعب التوصل الى إقامة حوار بناء بين المعلم والمتعلم عند تشويه التفاعل التلقائي بسبب المسافة والمتطلبات التقنية . وكذلك لا يستطيع المدرس عن بعد تلقي أي معلومة عن طريق الملاحظة البصرية دون استخدام الوسائل المرئية الحية مثل التلفاز . فهو غير قادر على معرفة إن كان الطلاب نائمين أو يتحدثون مع بعضهم البعض ، أو حتى إذا ما كانوا موجودين فى الغرفة.أن التواجد فى مجتمعات متباينة أو مواقع جغرافية مختلفة ، أو حتى فى دول مختلفة يحرم كل من المعلم والمتعلم من الترابط الاجتماعي المشترك .

ولكن مع كل هذه السلبيات لماذا يتم التعليم عن بعد ؟ . . . يرى الكثير من المعلمين إن الفرصة التى يوفرها مجال التعليم عن بعد أهم وأكبر من تلك السلبيات ، حيث إن الترتيبات الدقيقة المطلوبة للتعلم عن بعد تحسن من مهاراتهم التدريسية

بشكل عام ومن نمط مشاعرهم نحو طلابهم . وهكذا فإن التحديات التى يفرضها نظام التعليم عن بعد تقابلها الفرص للوصول الى مجموعة أكبر من الطلبة . وتلبية لحاجات الطلبة غير القادرين على حضور الحلقات الدراسية الصفية . وإقامة حلقة وصل بين الطلبة من مناطق اجتماعية وحضارية واقتصادية مختلفة .

كذلك دلت الأبحاث على أن الوسيلة التعليمية المستخدمة لها تأثير بسيط على تحصيل الطالب طالما كانت تقنية التوصيل مناسبة للمضمون الذى يتم تقديمه ، وطالما أن جميع المشتركين تتوفر لديهم القدرة على استخدام نفس التقنية مثل الفيديو التفاعلي ، مقارنة بالفيديو العادي ومقارنةً بالمعلم العادي ومن النتائج التى تم الحصول عليها من تلك الأبحاث ما يلي :

- نسبة التحصيل فى عدة امتحانات أجريت بإشراف مباشر للمدرس كانت أعلى منها فى نظام التعليم عن بعد مقارنة مع النظام التقليدي . (سوديرمان ١٩٩٣)
- لم يلاحظ أي اختلاف فى النظرة الايجابية تجاه مواضيع المادة بين نظام التعليم عن بعد والتعليم التقليدي . (مارتن و رينيج ١٩٩٣)
- يلاحظ أن التعليم التقليدي أكثر تنظيماً ويقدم بطريقة أوضح مقارنة مع نظام التعليم عن بعد . (ايثال أيجن ١٩٩١)
- الإجراءات التنظيمية والأفكار اللازمة للتدريس بشكل فعال عن بعد كثيراً ما تعمل على تحسين أسلوب التعليم التقليدي للمعلم .

• الأبحاث المستقبلية يجب أن تركز على العامل الحاسم فى تحديد تحصيل الطالب، وتصميم عملية التدريس نفسها . (وايتجتن ١٩٨٧)

من هنا ، نستطيع القول ، لماذا يكون الطلاب فى نظام التعليم عن بعد ناجحين؟ . دلت الدراسات أن الطلاب فى نظام التعليم عن بعد يستفيدون من الخصائص الأساسية لهم من خلال استخدامها للخبرة التعليمية ، وهذا يؤثر على نجاحهم فى الأعمال الصفية . إن طلاب نظام التعليم عن بعد يبحثون عن تعليم إضافي، فهم :

١. لديهم طموحات لمتابعة الدراسة بعد الثانوية للحصول على درجات عالية .

٢. لديهم حافز قوي وانضباط ذاتي .

٣. وهم أكبر سناً ونضوجاً .

وكذلك فى دراسات أخرى بينت أن العوامل التى تحدد التعليم الناجح هى نفسها سواء كان الطلاب فى نظام التعليم عن بعد أو فى نظام التعليم التقليدي وهذه العوامل تشتمل على :

١. الرغبة فى المبادرة بالاتصال بالمدرسين للحصول على المساعدة .

٢. امتلاك موقف جدي أكبر نحو المواد .

٣. العمل فى مجالات يتطلب فيها التطور الوظيفي الحصول على شهادات أكاديمية متقدمة فى بيئة التعليم المستمر .

٤. الحصول السابق على شهادة جامعية .

إن الممارسات التى يقوم بها المعلم فى التعليم عن بعد هى نفسها ممارسات التعليم التقليدي ، كما أن العوامل التى تؤثر على التدريس الجيد تكون عالية و لا تخضع لاختلاف البيئة أو السكان . ولأن التعليم عن بعد وما يلازمه من تقنيات يتطلب تخطيطاً وتحضيراً مكثفاً ، فإنه يتوجب على المعلمين عن بعد أن يراعوا الاعتبارات التالية وذلك لتحسين فعاليتهم :

- التخطيط التمهيدي المكثف والتقييم المستنبط يعدان من الأمور الضرورية .
- يستفيد المتعلمون كثيراً من مخطط المنهج الدراسي المنظم جيداً ، وأن الأخذ بهيكلية محددة واستخدام أدوات مثل استخدام المرئيات والرسوم ودليل المعلم كجزء من المخطط ، كل ذلك يساهم فى فهم الطلاب للمنهج ، ويجب الانتباه الى ضرورة تواؤم هذه الوسائل المرئية مع سمات الوسط التقني المستخدم ، ومع سمات الطلبة .
- يجب أن يتدرب المعلمون بشكل مناسب على استخدام الجهاز وعلى التقنيات التى تثبت فاعليتها فى بيئة التعلم عن بعد ، ويستفيد المتعلمون أكثر من المناهج والحلقات الدراسية عندما يكون المدرس مرتاحا فى تعامله مع تكنولوجيا التعلم .

الخلاصة

أولاً: من المساوىء التى تصادف المعلم فى التعليم عن بعد هى أنه فى غرفة الصف التابع لنظام التعليم عن بعد قد يتخذ بعض الطلاب بعض المواقف مثل الاعتقاد

بأن يكون الدرس للمتعة وليس للتعلم ، لهذا يجب التعامل مع هذه المواقف بطريقة سليمة ومعدة إعداداً جيداً للتأكيد على مع التفاعل بين المعلم والمتعلم .

ثانياً : إن المجالات التطبيقية كالفنون والموسيقي والألعاب من الصعب التحكم بطريقة التدريس فيها عن بعد لأن طبيعة تلك المواد تحتاج الى معايشة بين الطالب والمعلم ، والتواصل بينهما ضروري لتعبئة الروح التخيلية لدى الاثنين.

ثالثاً : إن عمليات الالتحام البصرية التى تحتاجها تلك المجالات ما بين المتعلم والمعلم ضرورية يفتقدها نظام التعليم عن بعد . . . لذلك حتى لو اعتمد المتعلم على ذاتيته فلن يصل الى المستوى الذى يهدف إليه مثل هذا المجال .

رابعاً : تلك المجالات تحتاج الى تقنية وأجهزة بالغة الدقة والكلفة بحيث تنقل الصورة الحقيقة سواءً كانت لونية أو ملمسية أو حتى ذات حركة ورائحة . . . لأن طالب الفنون يستخدم جميع حواسه الخمسة فى عملية التعلم وهذا لن تستطيع أن تقدمة التقنية الحديثة ولو أنها تقدم جزءا منه فقط .

لذلك ومن خلال الطرح ومن خلال الرؤية التحليلية للأبحاث والدراسات التى تناولت هذا الموضوع وهو التعليم عن بعد أرى بأن هذا النظام ينفع وبدرجات عالية فى المجالات النظرية وبشكل فعال ، ويحل الكثير من المشكلات التربوية المعاصرة فى الأنظمة التعليمية ، ولكنه لا يستفاد منه إلا بدرجة ضئيلة جداً فى دراسة الفنون التشكيلية ، إضافة إلى الكلفة المادية التى تصاحب تطبيق ذلك النظام . . . لكنه شئنا أم أبينا فإننا لا محالة سوف نطبق ذلك النظام لأنه أصبح مطلبا عالميا .

المراجـــع

أحمد أبو شيمه ١٩٩٦ – اقتصاديات مشروعات التعليم عن بعد وبدائل تمويلها – القاهرة

التعليم عن بعد اليونسكو مصر ١٩٩٦ – اللجنة الوطنية المصرية لليونسكو ، القاهرة – المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم واللجنة الوطنية المصرية لليونسكو

سامح سعيد وآخرون ١٩٩٦ – تكنولوجيا التعليم والتعليم عن بعد فى جمهورية مصر العربية ، المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم – واللجنة الوطنية المصرية لليونسكو

بـــاري و ليز – التعليم عن بعد –استراتيجيات ووسائل التليم عن بعد – الدليل العلمي

Chang , Vivian 1998 – **Policy Development for Distnce Education ,** Eric Clearinghouse for Community Colleges Los Angeles CA.

Ehmann , S. C. 1995 –**Moving beyond campus – bound education , Chronicle of Higher Education , U.S.A**

Mielke, Dan 1999 – **Effective learning in Distance Education .** Eric Clearninghouse on Teaching and Teacher Education , Washington DC.

Matshazi, M. J. 1996 – **The Role of multichannel learning in national education reform : the South African experience**

Sherry , L. 1996 – **Issues in distance learning, International Journal of Educational Telecommunications**

http:// www.almiskat.org/arbdoc99/disted/disted.htm

http://www.schoolarabia.com/distance_learning/daleel3/cont

http://www.schoolarabia.com/distance_learning/daleel8/sidee.htm

http://www.schoolarabia.net/tqanyat_tazalum/ta31om_mostakb

Willis, barry 1992 – **Strategies for Teaching at a Distance.** Eric Clearinghouse on Information Resources Syracuse NY.